بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله رب العالمين هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيءٍ كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦، وقد سبقت رحمته غضبه عز وجل فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "**إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**"[١].

ومن رحمته سبحانه بعباده أن يرسل لهم من يبين لهم الحق من الباطل بالآيات والبينات حتى يكون الحق لهم واضحا كالشمس في كبد السماء لا يحجبها حجاب، فإن تركوا الحق ووقعوا في الباطل فإن من رحمته سبحانه أن لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾ الكهف: ٥٨.

ومن رحمته سبحانه بالمخالفين من أهل البدع أن يسخر لهم من عباده من أهل السنة من يرد عليهم ويبين باطلهم ويكشف عوارهم وزيغهم حتى وإن لم يرجعوا، فيحذرهم الناس ويخف ميزان سيئاتهم عن أوزار الذين يضلونهم بغير علم، ولذلك قال أبو صالح الفراء –رحمه الله-: "حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه، فقلت ليوسف: ما تخاف أن تكون هذه غيبة؟. فقال: لم يا أحمق؟! أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم"[٢].

فوالله هذه نعمة تستحق الشكر!، وما أعظم خسارة من جاءته نعمة الله تعالى بالهداية إلى الحق –هداية البيان– فلم يشكرها وردها و لم يقبلها ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ البقرة: ٢١١.

فانظر إلى ثمود وسوء عاقبتهم لما جاءتهم الآية مبصرة باهرة يراها الكبير والصغير فردوها فأخذتهم الصاعقة بكفرهم بنعمة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ فصلت: ١٧.

[١] أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٤٢٢).

[٢] سير أعلام النبلاء (٧ / ٣٦٤).

وهذا حال من عرف الحق فتركه ولذلك قال أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن النسفي المقرئ: "كان مشايخنا يسمون أبا بكر بن إسماعيل أبا ثمود، لأنه كان من أصحاب الحديث، فصار من أصحاب الرأي. يقول الله تعالى: ﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ فصلت: ١٧"[٣].

ولذلك كان من عقاب الله لمثل هؤلاء الذين يتركون الحق عن علم أن لا يوفقهم سبحانه للتوبة وأن لا يرجع أحدهم عن مذهبه الباطل ونحلته الفاسدة ولا يوفقهم إلا في ضلالهم!! كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٥، "فمن كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها، فإن الله يمده منها، ويزيده فيها حبا، عقوبة له على اختيارها على الهدى"[٤].

وهذا من قضاء الله وحكمه وحكته سبحانه وقد دل على ذلك أدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ البقرة: ١٧ – ١٨.

فهؤلاء الذين جاءهم نور الهدى الذي أناره صاحب الحق الداعي إليه فأضاء لهم ما حولهم فميزوا بين الحق والباطل ثم تركوا الحق بعد علم به ومعرفة، يذهب الله عنهم نور الهدى ويتركهم في الظلمات صما وبكما وعميا ولذلك لا يرجعون إلى الحق الذي تركوه.

روى الطبري عن مجاهد –رحمهما الله– أنه قال: "أما إضاءة النار، فإقبالُهم إلى المؤمنين والهدَى؛ وذهابُ نورهم، إقبالهم إلى الكافرين والضلالة"[٥].

قال الإمام أبو جعفر الطبري –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : "إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين –الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدَى، وَصممهم عن سَماع الخير والحق، وَبكمَهم عن القيل بهما، وعَماهم عن إبصارهما– أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم، ولا يتُوبون إلى الإنابة من نفاقهم. فآيَس المؤمنين من أن يبصرَ هؤلاء رشدًا، أو يقولوا حقًّا، أو يَسمعوا داعيًا إلى الهدى، أو

[٣] شرف أصحاب الحديث، ص: ٧٥.
[٤] من كلام العلامة السعدي –رحمه الله– في تفسير الآية من تفسيره.
[٥] جامع البيان (٣٢٤/١).

أن يذَّكَّروا فيتوبوا من ضلالتهم، كما آيس من تَوبة قادة كفّار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم، الذين وَصَفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سَمعهم وغشَّى على أبصارهم".

قال العلامة السعدي –رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: " {صُمٌّ} أي: عن سماع الخير، {بُكْمٌ}: عن النطق به، {عُمْيٌ} عن رؤية الحق، {فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ} لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم".

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥.

قال أبو جعفر الطبري –رحمه الله-: "ومن يباين الرسولَ محمدًا صلى الله عليه وسلم، معاديًا له، فيفارقه على العداوة له {من بعد ما تبين له الهدى}، يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم {ويتبع غير سبيل المؤمنين}، يقول: ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم ... {نولّه ما تولّى}، يقول: نجعل ناصره ما استنصره واستعان به ... وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه".

قال العلامة ابن كثير –رحمه الله-: "ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: {ويتبع غير سبيل المؤمنين} هذا ملازم للصفة الأولى ... إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له –استدراجا له".

وقال العلامة السعدي –رحمه الله-: " ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله".

وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ الأنعام: ١١٠.

ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– خلاف العلماء في تفسير هذه الآية ثم رجح ما يلي: " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم. وهذا معنى حسن؛ فإن كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل ... والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه: الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر"[٦].

وقال –رحمه الله–: " من عرض عَلَيْهِ حق فَرده فَلم يقبله عُوقِبَ بفساد قلبه وعقله ورأيه وَمن هُنَا قيل لَا رَأْي لصَاحب هوى فان هَوَاهُ يحملهُ على رد الْحق فَيفْسد الله عَلَيْهِ رَأْيه وعقله"[٧].

قال العلامة السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: " ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم".

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤.

فإن عاقبة من جاءه أمر الله فلم يخضع له ولم يقبله وينقاد له أن يحول الله بينه وبين الاستجابة فلا يتمكن منها بعد، كما قال العلامة الشيخ السعدي –رحمه الله–: "حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك".

---

[٦] شفاء العليل، ص:٩٩.

[٧] مفتاح دار السعادة (٩٩/١).

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله-: "إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم. فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة، وعقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته"[8].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾التوبة: ١١٥.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله-: " فهذا الإضلال عقوبة منه لهم، حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم، و لم يعملوا به، فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى، وما أضل الله سبحانه أحدا قط إلا بعد هذا البيان"[9].

وذكر العلامة السعدي –رحمه الله- احتمال هذا المعنى فقال: "ويحتمل أن المراد بذلك ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المبين".

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ الصف: ٥.

فإن عقوبة المعصية المعصية بعدها وعدم التوفيق للطاعة.

قال الإمام الطبري –رحمه الله- تفسيرا لهذه الآية: "فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه".

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- تفسير لها: "فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان".

قال العلامة السعدي –رحمه الله-: "{فَلَمَّا زَاغُوا} أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، و لم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يليق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر، {وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه".

---

[8] التفسير القيم، ص: ٣٠١.

[9] مدارج السالكين (٦٦/١).

ومن الأدلة أيضا على أن من عرف الحق ثم تركه أن الله لا يوفقه إلى الحق قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران: ٨٦.

قال العلامة الشيخ السعدي –رحمه الله-: " هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات {والله لا يهدي القوم الظالمين} فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية".

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ التوبة: ٨٣.

فإن كان من تهاون بأمر الله عند حضور وقته يقعده الله عن مراضيه فكيف بمن ترك الحق اتباعا لهواه؟!.

ومن أدلة السنة عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ اللَّهَ حَجَزَ – أَوْ قَالَ: حَجَبَ – التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ**"[١٠].

قال العلامة الشيخ عبد المحسن العباد –حفظه الله-: "ومعنى ذلك أن الإنسان إذا كان مبتدعاً فقد يستمر على بدعته إلى أن يموت عليها، ولا تحصل له التوبة؛ لأنه يظن نفسه على حق، وأما إذا كان صاحب معصية ويعرف أن هذا ذنب وأنه عاص لله فيه فهذا هو الذي يرجى له التوبة؛ لأنه يشعر بالخطأ، ويشعر بالتقصير، وأما ذاك فإنه لا يشعر بالتقصير بل يظن أنه على حق، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾فاطر: ٨، فهو يبقى على باطله.

فإذا كان لديه علم ومعرفة فإنه يكون أشد ضرراً على نفسه وعلى غيره، أما على نفسه فبابتعاده عن التوبة، وأنه قد يموت على بدعته، وأما على غيره فباغترار الناس به، فإنهم يظنون أن مقالته تلك قالها بناء على علم"[١١].

---

[١٠] السنة لابن أبي عاصم (٣٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٤).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه**"[١٢].

قال ابن هبيرة –رحمه الله-: "فإن هذا مما نخاف منه كثيرًا على أهل البدع، فإن كل مبتدع ببدعة لا يرى أنه فيها على ضلال فيعود إلى الحق، وليس في الذنوب ذنب لا يستغفر منه صاحبه إلا البدعة لأنه يراها دينًا وقربة لا يستغفر منها، ولا أرى هذا ينصرف إلى أهل البدع، فإنهم يخرجون من الدين بالبدعة ثم لا يعودون إليه؛ لأنهم لا يرون قبح ما هم عليه من الضلالة"[١٣].

ومما يؤكد هذا المعنى فهم السلف لهذا الحديث قال أيوب السختياني –رحمه الله-: "كان رجل يرى رأيا فرجع عنه، فأتيت محمد بن سيرين –رحمه الله- فرحا بذلك أخبره فقلت: أشعرت أن فلان ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلى مه يتحول، إن أخر الحديث أشد عليهم من الأول، أوله "**يمرقون من الدين**" وآخره "**ثم لا يعدون**""[١٤].

فلم يغتر الإمام محمد بأنه رجع فليست العبرة بالرجوع عن القول فحسب بل العبرة إلى أي شيء رجع، لذلك علَّم تلميذه الإمام أيوب السختياني أن لا يغتر بقول أهل الأهواء والبدع: رجعنا.

لأنهم يمرقون ثم لا يعودون، ولذلك لما جاء سعيد لأيوب نفسه وقال: يا أبا بكر إن عمرو بن عبيد قد رجع عن قوله، قال سلام بن مطيع: وكان الناس قد قالوا ذلك تلك الأيام إنه قد رجع. قال أيوب: إنه لم يرجع. قال: بلى إنه قد رجع. قال: إنه لم يرجع، قالها غير مرة ثم قال أيوب: أما سمعت إلى قوله يعني في الحديث "**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه**" إنه لا يرجع أبدا"[١٥].

وهذا أمر مقرر عند السلف وإليك جملة من آثارهم يضاف إلى ما سبق، فمنه:

---

[١١] شرح الأربعين النووية، الدرس الثالث.

[١٢] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٧٥٦٢).

[١٣] الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/١٩٠).

[١٤] الاعتصام (١ / ١٢٣).

[١٥] السنة لعبد الله بن أحمد (٩٧٦).

قال ابن سيرين –رحمه الله–: "ما أخذ رجل بدعة فراجع سنة"[16].

قال الأوزاعي –رحمه الله– مخاطبا أهل البدع: "لا ترجعون من بدعة إلا تعلقتم بأخرى هي أضر منها"[17].

قال سفيان الثوري –رحمه الله–: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فالمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"[18].

وقال أبو عمرو الشيباني –رحمه الله–: "كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة توبة وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها"[19].

[توضيح وبيان:]

ولابد من بيان أن ما مر ذكره لا يعني أن التوبة لا تقبل من المبتدع، بل التوبة إذا اجتمعت شروطها فهي مقبولة من العاصي والمبتدع والكافر، وأما ما مر ذكره من حجب التوبة عن المبتدع فهو عدم التوفيق له لأن الموفق من وفقه الله، والله لا يوفق المبتدع لأن المبتدع أحد رجلين:

أولا: إما مبتدع وقع في البدعة ولا يراها بدعة فكيف يتوب منها؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "...ولهذا قال طائفة من السلف –منهم الثوري– البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة بمعنى أنه لا يتوب منها، لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر، ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً، ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة توبة، فمعناه: مادام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها، **فأما إذا أراه الله** أنها قبيحة فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على ضلال، وإلا فمعلوم أن كثيراً ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها، و هؤلاء لا يحصيهم إلا الله"[20].

فمن وقع في البدعة عن جهل وهو يريد الحق فهذا قريب من التوبة.

---

[16] الإبانة (١٣١).

[17] النقض للدارمي (٢٢٦).

[18] شرح السنة للبغوي (١ / ٢١٦).

[19] البدع والنهي عنها لابن وضاح ص (١٠٧).

[20] مجموع الفتاوى (٦٨٤/١١)

ثانيا: وإما مبتدع صاحب هوى قد فتنه هواه.

وقد قدر رب العباد أن من عرف الحق وتركه اتباعا لهواه؛ لا يوفق لقبوله واعتناقه بعد، ويعاقبه بتقليب القلوب والأبصار، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأسا، ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾، فعاقبهم على رد الحق أول مرة بأن قلب افئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

والثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته؛ فإنك إن تهاونت به ثبطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فليهنه السلامة"[٢١].

وهذا هو المراد بصاحب الهوى والبدعة الذي لا يوفق لتوبة وقد مرت الأدلة من الكتاب والسنة التي تبين لك معناها بفهم سلف الأمة وتفسير العلماء والأئمة، فإياك أن تعترض على هذا برأيك، أو أن تنخدع بعد ذلك في صاحب هوى ولو كان يوما من الأيام شيخك!.

[مثال تطبيقي في الماضي والحاضر:]

فإن من مكر أهل البدع وحيلهم التظاهر بالتوبة وذلك لجمع الناس بعد أن نفروا عنهم أو لدفع أذى قد أحاط بهم ووقع عليهم، كمثل توبة غيلان الدمشقي القدري فقد بلغ عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أياما، ثم أدخله عليه، فقال: يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟.

قال: نعم يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يقول: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾الإنسان: ١، ٢، ٣.

[٢١] بدائع الفوائد (٣/٦٩٩).

قال عمر: اقرأ إلى آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ الإنسان: ٣٠، ٣١.

فما تقول يا غيلان؟.

قال: أقول: كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالا فهديتني.

قال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقا، وإلا فاصلبه.

فأمسك عن الكلام في القدر فولَّاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم غيلان في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يديه، فقال: يا غيلان هذا قضاء وقدر. قال: كذبت –لعمر الله– ما هذا قضاء ولا قدر فبعث إليه هشام فصلبه[٢٢].

وهذا مثال في الحاضر:

وهو حسن بن عبد الستير النعماني، الذي كان قبل أحداث يناير ٢٠١١ التي وقعت في مصر وبعدها بقليل، كان ينافح عن أهل البدع من أمثال الحويني وحسان والمقدم وغيرهم من أهل البدع ويطعن في أئمة أهل السنة أن انتسابهم إلى السلفية ليس خالصا وإنما هو انتساب ناقص أو مشوب!! وقد كان يقعد القواعد! ويؤصل الأصول! التي تنصر بدعته ويعرضها على سابقيه في الضلال كعلي حسن الحلبي ويوافقه عليها كقاعدة "لا يلزم أن يكون انتساب الرجل إلى السلفية خالصا كما لا يلزم أن يكون انتسابه إلى الإسلام أن يكون خالصا"، وقاعدة "الكلام يكون على الخطأ لا المخطئ" والتي أضاف إليه حديثا كلمة "الأصل" حتى فأصبحت "الأصل في الكلام أن يكون على الخطأ لا المخطيء" والتي تشبه قاعدة "نصحح الأخطاء ولا نجرح الأشخاص" إن لم تكن هي!

حتى إذا أُخذ بهذه القواعد أَخذ يقرر أصلا آخر وهو: "حمل المجمل على المفصل"!!

وظل على هذا الحال ولما قُطعت ساق أبي إسحاق الحويني أخذ يتكلم عن الرجل مدحا ويقول لسنا إلى الحدادية الذين يقولون ويفعلون! ثم مر عام تقريبا من أحداث مصر ونزل عبد الرحمن عبد الخالق مصر واستقبله الحويني على كرسيه المتحرك مع عدد من أهل الأهواء والبدع فأثنى الحويني على عبد الرحمن عبد الخالق.

---

[٢٢] الاعتصام (١ / ٨٥).

وهنا خطأه حسن عبد الستير و لم يبدعه فقام عدد من متعصبة الحويني بالهجوم على حسن عبد الستير فأخذ حسن عبد الستير يدافع عن نفسه ويشتد في الكلام على الحويني كنوع من أنواع "رد الفعل" على تعصب المتعصبين! وهذا الذي تبين لنا بعد ذلك أن كثيرا من مواقفه لا تكون إلا رد فعل!!

الشاهد أنه أخذ يشتد على هؤلاء شيئا فشيئا حتى رأى التشجيع من أهل السنة فتبرأ من هؤلاء المبتدعة وأخذ يتكلم فيهم ومن هنا زكاه عدد من الشيوخ في مصر على رأسهم الشيخ حسن بن عبد الوهاب البنا –حفظه الله– وفي هذه المرحلة سكت حسن عبد الستير عن قواعده القديمة و لم يتكلم بها وفي نفس الوقت لم يظهر التراجع عنها.

وهنا لم يغتر الشيخ خالد عثمان –وفقه الله– بما فعل حسن عبد الستير من الرد على هؤلاء والتبرؤ منهم، و لم يغتر كذلك بثناء حسن عبد الستير عليه ودفاعه عنه! بل قام بمراسلته ونصحه سرا، وبين له عددا من أخطائه التي لم يتراجع عنها إلى وقت النصيحة والتي هي أخطر من مجرد الثناء على أهل البدع؛ لأنها قواعد يندرج تحتها الكثير من المسائل، فلم يجبه حسن عبد الستير حتى مضى على زمن النصيحة عام تقريبا وفي ذلك الوقت كنت قد انتهيت من بحث لي فيه رد على قواعد أهل البدع من المميعة والحدادية وفيه بعض القواعد لحسن عبد الستير القديمة وأرسلته إلى عدد من الشيوخ في مصر لينصحوني بشأنه ومنهم الشيخ خالد عثمان، وكان حسن عبد الستير ممن حصل على نسخة من هذا البحث وفي أثناء قراءة البحث ومع إلحاحنا عليه أن يجيب رسالة الشيخ خالد عثمان قام بمراسلته برد عجيب لا يمت إلى التراجع بصلة، وإنما مراوغة وتصحيح لأخطائه القديمة، وقد راجعناه في هذا الرد ولكنه لم يهتم!.

وبعد أن انتهى من قراءة البحث كاملا أظهر الثناء والفرحة به فطلبت منه أن يقدم له ليعلم الشيوخ أنه قد تراجع عن قواعده القديمة، وطلب مني أن أضع في بحثي قاعدة "لا يلزم أن يكون انتساب الرجل إلى السلفية خالصا" وهنا خِفت أن يكون مراده تصحيحها والتدليل عليها!! و لم أفهم المراد لأنه منذ أن عاد –في الظاهر– لم يتكلم بهذه القواعد لا سلبا ولا إيجابا، فطلبت منه التوضيح كيف أدرجها؟ سلبا أم إيجابا؟!

فقال: لا بد أن ترد عليها هي من قواعد علي الحلبي من قواعد المميعة!

فاتصلت على الشيخ خالد عثمان أبشره أنه طلب مني الرد على هذه القاعدة ووصفها بأنها من قواعد المميعة فقال الشيخ إذن ننتظر حتى يتراجع عنها، فقلت له: أظنه لو استقبل من أمره ما استدبر لأرسل إليكم جوابا غير الذي أرسل. فقال الشيخ خالد: إذا ننتظر جوابه!

فكلمت حسن عبد الستير فرفض على طريقته وعادته بقوله: "راجعني في الأمر"!!

فلما مرت سنتان وكثر سؤال الطلبة عنه تكلم فيه الشيخ خالد عثمان وبين أمره وأنه على قواعد الحلبي القديمة لم يتراجع عنها.

وهنا جن جنون حسن عبد الستير وأخذ يدافع عن قواعده القديمة، فلم يرجع عنها!! لأنه لا يوفق صاحب هوى للرجوع !!

ليس ذلك فحسب بل وصل الأمر به إلى أن يعود إلى ما كان عليه من اتهام ابن باز بالموازنات أيضا!!

ولا تعجب فإنه لا يرجع صاحب هوى!!.

كنا قد أرسلنا إلى حسن عبد الستير نصيحة في شهر شعبان وقال أنه سيتراجع ولم يفعل فنشرناها في شهر ذي الحجة وجلس معه عدد من الإخوة منهم المتعصب له ومنهم الحائر في أمره! كما يظهر ذلك من التسجيل وأخذ يعلق على رسالتنا بمراوغة لا ينخدع بها إلا من يريد أن ينخدع!!

ومما وقع في هذا التسجيل أنه لما أتى على قولنا: "فراسلناك بخصوصها كمسألة الموازنات واتهام العلامة ابن باز بالقول بها".

قال: "جبتلهم كلام الشيخ ابن باز والكلام موجود في كتاب الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق واتكلمت ووضحت المسألة".

فلم يرجع عن هذه وما زال يعتقد أن كلام الشيخ ابن باز فيه إقرار بالموازنات!!

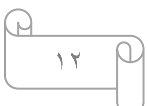
ودليله تقديم الشيخ ابن باز لكتاب اللويحق! ولو سلمنا فإنه قد اعتبر أن تقديم الشيخ ابن باز للكتاب إقرار بكل ما فيه، في الوقت نفسه لما جاء على قولنا في النصيحة: "هل تعلم أن في بحث أبي زياد الرد على قاعدة لا يلزم أن يكون انتساب الرجل إلى السلفية خالصا"

علق قائلا: "وهل أنا ملزم بكل ما في البحث"!! فما هذا التناقض العجيب!

وقد قمت من قبل بالرد عليه في استدلال له بالحديث "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم" على جواز مخالطة أهل البدع!! فأثنى على هذا الرد وقتها!

ثم في هذا التسجيل يقول: "المشكلة الستة أو السابعة إنهم بيعملوا حاجة غريبة جدا! تجيب انت النصوص العامة عاوز يخرج قضية البدعة من النصوص العامة، يعني لما تيجي تستدل بالحديث "ما كان الرفق في شيء إلا زانه" يقولك: لا دا ده في باب المعصية. انت جبت منين هذا التخصيص؟!"اهـ كلام حسن عبد الستير!

وكأنه لم يطلع على إجماع السلف على وجوب الشدة على أهل البدع!!



وكأنه لم يطلع على منهج السلف في معاملة أهل البدع!!

وعلى كل نسأل حسن عبد الستير لماذا تتكلم في أهل البدع والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"؟! وجوابه –إن استطاع الجواب– هو جوابنا!!... لا لا ليس جوابنا فقد يقول نعم صحيح لا يجوز الكلام في أهل البدع لأنهم مسلمون فلابد أن يسلموا من لساننا!

ولكن إن قال: أتكلم فيهم لأنه قد دلت النصوص الأخرى على وجوب الرد على أهل البدع فخرج أهل البدع من عموم الحديث، فلماذا لم تفعل ذلك في حديث الرفق؟ ولماذا لم تفعل ذلك في حديث المخالطة؟ أم هو الكيل بمكيالين واللعب على الحبلين؟!!

ها هو حسن عبد الستير يضع لنا منهجا جديدا في الاستدلال على معاملة أهل البدع يصدق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"**[٢٣].

ويعود إلى ما كان عليه من اتباع المتشابه تدليلا على أصوله وقواعده، فمثله لا يؤمن حتى يتزل فيه وحي، وقد انقطع الوحي!!

وقد كنا نعد ردا تفصيليا على ما جاء في هذا التسجيل من أخطاء ومغالطات وكذب وافتراءات ولكن علمنا أنه يعد ردا! علينا فقلنا نصبر حتى نبصر العجب!

ويا ليته انتفع بنصيحة من نصحه، ورجع عن أخطائه التي شهد بأنها أخطاء ومخالفات عدد من العلماء الكبار على رأسهم العلامة الشيخ ربيع بن هادي –حفظه الله– ولكنه الهوى، ولكنه الكبر، وكيف يرجع صاحب هوى قد فتنه هواه!.

والله المستعان وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب:

أبو زياد محمد بن محمود آل يعقوب النوبي

يوم الاثنين

الثالث من محرم لعام ١٤٣٦ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

الموافق السابع والعشرين من أكتوبر لعام ٢٠١٤ من تاريخ النصارى

---

[٢٣] البخاري (٤٢٧٣)، ومسلم (٢٦٦٥).